# خاتمة

# خاتمـــة

يتوقف البحث مستعرضا أهم النتائج المتوصل إليها بعد هذه الرحلة القصيرة في شعر **أبي الحسن علي الحصري القيرواني:**

- تبيّن للبحث أن النفحة المأساوية قد تتجلى في كل ظرف وفي كل نوع أدبي، متجاوزة المسرحية إلى القصيدة الغنائية، وهو ما يجعل الحس المأساوي مشاعا إنسانيا، يثبت أن المأساوية حقيقة تشترك فيها الإنسانية بشرقها وغربها.
- يتقاطع **علي الحصري** مع شعراء العذرية المعذبين ، ونسيبه لا ينفتح إلا بتذكر الحبيب، والشوق إلى استحضاره بالمشوقات المكثفة لدلالات الافتقار العشقي شرط العلاقة العشقية التي لا توصف بالمأساوية إلا إذا تخطى العاشق فواعل المنع، وتوترت علاقته بهم إلى حدّ الإصرار على أن يكون خبر عشقه هو خبر موته.
- لم يكتف الشاعر وهو يتجرع مرارة تجربة الموت بالصمت وإقرار العجز المريع –وفي ذلك تجسيد لمأساة الحياة كلها–، وإنما تغيرت قيم الحياة في نفسه، فآثار تجربة الموت حطمت كيانه، وجعلته ينتقل بتجربته الجزئية الخاصة إلى واقع الإنسان عامة، لتكون النظرة كلية تتفق حول حقيقة الحياة بعدّها طريقا قصيرا إلى الفناء، ويتجاوز هذا الواقع الإنساني إلى مظاهر الطبيعة المجسّدة للمأساة من خلال رضوخها لحتميات العطب والزوال، ولا يقف أمام تأكيد هزيمة صرعة المنون له ولكن يعلو صوت تسخطه معلنا رفضه قدر الموت، وغضبه مما كتب عليه، بعد أن اصطدم بإرادة مصيره.
- يشكل السخط معلما بارزا يعبر عن الرؤيا المأساوية الحاملة لدلالات التصادم بين إرادة الموت وإرادة الشاعر الأب المغدور الذي يتعامى عن الأصوات المعقلنة الداعية إلى المساومة والمسالمة، ويجسد الشاعر بذلك صورة البطل المأساوي المدرك لعجز الإنسان عن أن يكون أكثر من حدث عابر في الكون، ويستشعر غفلة العالم من حوله، ويدعو إلى اليقظة والتحدي.

- إن الشاعر **علي الحصري** لم يكتف بمعاناة الوعي المأساوي معاناة سلبية ، بل صارع القدر بنفي الاصطبار، ورفض العزاء وتحريم الصبر، وتخطى كل ذلك إلى محاولة نفي الغريزة المقيمة في جسده الإنساني وهدم الحياة بالامتناع عن الزواج وكره النسل، وتحريم المتع ليؤول الوجود إلى العدم، وتنقطع سلسلة الوجود.
- إذا كانت الرؤيا المأساوية قد عبرت عن اضطراب الشاعر الأب، وأظهرت تطرفه فإن إيمانه بالعناية الإلهية الحاملة لمعاني الرجاء وإقرار الكرم الإلهي أوقف الرؤيا المأساوية فاسحا المجال لدلالات الشكر والصبر الجميل الذي يقلب المحنة منحة، ويرفع أصوات القبول والرضا والتسليم.
- برز أثر الزهد الديني في منع انهيار الشاعر وفقدان صوابه، وأعانه على مواصلة الحياة وعدم الاعتراض على مشيئة الأقدار، لتنتفي معه صورة البطل المأساوي، وتحل محلها صورة المتوكل على الله، وتكون العناية الإلهية نقيضة المأساوية.
- تجلت الغربة أبرز معالم هذه النفحة المأساوية، وما حملته من آلام تولدت من يقين الشاعر بأنه دائما أكبر مما يعطى، وأعلى قدرا مما يملك، وأنه لم يصل إلى بغيته، ويتشعر اغتراب التفوق أو الثقة بإمكانات **(الأنا)**، ويشارك بذلك جميع الشعراء الذين اغتربوا، واستخلصوا حقيقة غربة الفاضل، لتثبت حقيقة المأساوية التي تشترك فيها الإنسانية بشرقها وغربها.
- أظهرت نتائج الدراسة الإيقاعية مدى استفادة **الحصري** الضرير من بعض النسج الصوتية، وأنه نزع منزعا محافظا في تناوله الأغراض الشعرية متقيدا بمقاييس العروض، موظفا معظم البحور (خمسة عشر بحرا) التي طرقت غرض الرثاء، ولعل في ذلك إصرارا من الشاعر على تخليد ابنه؛ فهو لا يكتفي برثائه في ديوان كامل، وإنما ينظم في جميع الإيقاعات التامة والمجزوءة، وهذه الأخيرة شكلت سمة بارزة في الدراسة الإيقاعية دلت على امتلاك الحصري أذنا موسيقية خبرت سحر اللغة العربية.

- اطمئن البحث وهو يدرس إيقاع الخبب إلى النتيجة الآتية: إن إيقاع الخبب شاع عند المغاربة، ودلّ على قدرتهم في الابتكار ومحاولة التجديد، وارتبطت هذه المحاولة بالشاعر **الحصري الضرير** الذي خلّده في قصيدته الشهيرة (يا ليل الصّبّ).
- من خلال استقراء القوافي المقيدة القوافي المطلقة تبين أن **الحصري** نهج منهج القدامى، وكان حظ المجرى في شعره كبيرا حين تكون حركة اندفاع اللسان إلى الإمام، ويلاحظ كثرة استخدام **الحصري** للهاء بعد حرف الروي ساكنة ومتحركة لما فيها من قيمة في إبانة الحركة، وما تحتاجه من جهد تنفسي يدل على المشقة وصعوبة التحمل، وبالانتقال إلى أنواع القوافي من حيث الحركة والسكون تبين للبحث: إن **الحصري** لم يستخدم المتكاوس لما فيه من اضطراب وبعد عن الاعتدال، وتجاوز المتواتر نصف الأشعار، ومن حيث المقاطع الصوتية أكثر الشاعر المقاطع القصيرة المفتوحة ثم المقاطع الطويلة المفتوحة، واستنفذ معظم أشكال القوافي، وركز على ذات المقطعين خاصة المقطع الطويل المفتوح يتبعه المقطع القصير المفتوح، أو المقطع الطويل المفتوح يليه مقطع طويل مفتوح، وهو ما يلائم الآهات ومد أصوات التأوّه.
- كرر **الحصري** مع كل كلمة احتوت الروي كلمة أو أكثر في نفس البيت مما عد خصيصة إيقاعية استرعت الانتباه إليها، وخصت جميع حروف الهجاء، وهي ظاهرة تذكر بالشعراء الذين سلكوا هذا المسلك، ولعل من أبرزهم أبا العلاء المعري في لزومياته المرتبة على حروف المعجم في أحوالها المختلفة، ولكن الحصري التزم قيودا أكثر صعوبة مبنية على أذنه الموسيقية التي وقفت على حقيقة إيقاع الأصوات، فلم يهتم بأواخر الأبيات فقط وإنما اهتم بالبدايات محققا التكافؤ الإيقاعي، وهو ما يدل على قدرة فائقة وموهبة فذة، وهذه الخصيصة الصوتية ساهمت في تماسك النص بترجيع الحرف الذي ينكسر بين حين وآخر محدثا مفاجأة للمتلقي.
- يستشف من هذه الطريقة مدى استطاعة **الحصري** القيرواني تطويع اللغة العربية، واستكشاف كنوزها الإيقاعية، وهو ما يجعله مبتكرا مجددا محافظا على الإطار العام

للقصيدة العربية مؤكدا مغربيته باعتماد الحروف الهجائية وفق الترتيب المغربي، وهو ما عدّه البحث قيدا انزياحيا لم يشع عند عامة الشعراء، يدل على علو طبقة **الحصري**؛ فإذا كان صنيع أبي العلاء في لزومياته شكل انزياحا فريدا في تاريخ الشعر العربي، فإن طريقة **الحصري** لا تخرج عن ذلك، وهو ما دفع البحث إلى ربط العنوان (اقتراح القريح واجتراح الجريح) بدلالات التميز والتفرد والابتكار.

- تبين للبحث وهو ينتقل إلى المقوم الصوتي غير المنتظم أن **علي الحصري** اعتمد التصريع والتقفية في معظم قصائده، وكثيرا ما كان يقوي هاذين الايقاعين بإضافة كلمة تعضد هذا الإيقاع جاعلة البيت فاصلة موسيقية.
- لفتت الانتباه قدرة **الحصري** الفائقة في استكناه الظواهر الإيقاعية من خلال تكافؤ تكرار الحروف في البيت الواحد، وهو ما يظهر حسا صوتيا متميزا تجلى في تنويع التكرار على مساحة البيت الشعري تنويعا يستحق دراسة أكثر تفصيلا.
- توقف البحث عند ظاهرة تكرار ضمير المتكلم (**أنا**)، واكتشف علامات التميز والابتكار الإيقاعي باستغلال خصيصة تطويل المقطع الصوتي أو تقصيره، وقدم دراسة تتجاوز المقاربات النفسية والاجتماعية، وتقيد بالنص ملتزما الإيقاع، ولم يكتف بعدّها جوازا شعريا وحسب، لكن انتهى إلى تصويب مقولة أن (الأنا) عندما تتصدر الكلام يكون لها جلبة كبر وخيلاء، إذ رأى في المقولة إطلاق وتعميم، الدراسة الإيقاعية لم تثبته، بل ناقضته، وهي الظاهرة التي تحتاج إلى دراسة معمقة.
- خلص البحث بعد دراسة الإيقاع إلى أن **الحصري** استطاع تطويع اللغة واستغلال طاقاتها الإيقاعية، وأثبت أهمية ربط هذه النغمات الصوتية بالألفاظ والأحداث لتتكامل بذلك ثنائية الإيقاع والدلالة، ولعل وراء هذه الظاهرة مسألة فقد **الحصري** لبصره وتمكنه من علم القراءات القرآنية، وهو ما يستدعي دراسة مستفيضة.
- أظهرت دراسة ظاهرة الحذف أن **الحصري** أدرك بذوقه الفني وإحساسه المرهف ما يتفجر من التراكيب العربية من معاني تجد نفس المتلقي متعة في استكمال المحذوفات

ومكنته هذه الخصيصة الأسلوبية من تكثيف المعنى الذي يفضي إلى أعمق الدلالات متجاوزا المعنى السطحي.

- استفاد الشاعر من خصيصة التقديم والتأخير، وما تحمله هذه الظاهرة الأسلوبية من حيوية وطاقات تمد المبدع بإمكانات التعبير التي تتمخض عنها دلالات عميقة تكشف عن أسرار النظام اللغوي العربي ولطائفه ومرونته، وتظهر بوضوح دور المتلقي الذي يصل إلى تكامل المنتج الإبداعي بعد أن تثيره الخلخلة التركيبية وتشوقه.

ويصل البحث إلى إعادة ما قاله العماد الأصفهاني :"إني رأيت أنه لا يكتب أحد كتابا في يومه إلا قال في غده، لو غيّر هذا لكان أحسن، ولو زيد هذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر".

**رحم الله أبا الحسن الحصري، فقد ترك لنا من الشعر ما راق.**

**والحمد لله رب العالمين**

# ملحق ببحور وقوافي ديوان

# علي الحصري القيرواني الضرير